من القصص القرآني
قصة ابني آدم - عليه السلام

د. سناء محمود عبدالله عابد الثقفي

ربط القصة ومناسبتها لما قبلها

آدم: هو أبو البشر ١،(مختار الصحاح ص١٠) وسمي آدم لأنه خُلِقَ من أدمة الأرض، وقال بعضهم لأدمة جعلها الله تعالى فيه. ٢ لسان العرب جـ١٢ ص١٢ وقد جاء ذكر آدم (في القرآن في (٢٤) موضعاً ٣، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٢٤ ولم يأت ذكر قصة ابنيه إلا في سورة واحدة، وهي من موضوعات سورة المائدة.

ربط القصة ومناسبتها لما قبلها: -

عند الحديث عن كلام الله تعالى نقف متأملين في هذه المعاني الرائعة التي نلاحظ أنها كسلسلة مترابطة الحلق.

تبهرنا معانيها وتشدنا إليها في نسق جميل، فآيات الله لها أهداف ومعان سامية، تستدعي منا الفكر وإعمال العقل في سبب مجيء الآية بعد الآية، والسورة تلو السورة. وهذه القصة ذكر المفسرون لمجيئها في هذا المقام أسباباً نبينها فيما يلي:

١. أن الله تعالى قال فيما تقدم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)سورة المائدة آية١١ة، فذكر الله تعالى أن الأعداء يريدون إيقاع البلاء والمحنة بهم، لكنه تعالى يحفظهم بفضله، ويمنع أعداءهم من إيصال الشر إليهم.

٢. أن الله تعالى ذكر قصصاً كثيرة لتسلية الرسول (والمؤمنين من بعده، تبين أن كل من خصه الله تعالى بالنعم العظيمة في الدين والدنيا فإن الناس ينازعونه حسداً وبغياً، فذكر أولاً: قصة النقباء الاثني عشر وأخذ الله تعالى الميثاق منهم، ونقض اليهود ذلك الميثاق.

ذكر هذه القصة وهي مذكورة في التوراة، فهي على سبيل البيان ٤ المرجع السابق، فأعلموا بما هو في غامض كتبهم الأول التي لا تعلق للرسول (بها إلا من جهة الوحي، لتقوم الحجة بذلك عليهم إذ ذلك من دلائل النبوة. ٥ تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي جـ٣ ص٤٦

٤. أن القصة متعلقة بقصة محاربة الجبارين أي اذكر لليهود حديث ابني آدم ليعلموا أن سبيلهم إن عصوا هو الحسرة والندامة كسبيل ابن آدم قتل أخاه.

٥. أن هذه القصة لها اتصال بقوله تعالى (نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) سورة المائدة آية١٨ة، حكاية عن اليهود والنصارى أي لا ينفع كونهم من أولاد الأنبياء مع كفرهم كما لم ينتفع ولد آدم عند معصيته بأبيه.

٦. لما كفر أهل الكتاب بمحمد(ص) أخبرهم الله بخبر ابني آدم، وأن الحسد أوقعه في سوء العاقبة، والمقصود منه التحذير من الحسد.

٧. التنبيه من الله تعالى على أن ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود كظلم ابن آدم لأخيه ٦، تفسير القرطبي جـ ٦ ص١٣٣ وعرفهم مكروه عاقبة الظلم والمكر وسوء مغبة الجور ونقض العهد، وما جزاء الناكث وثواب الوافي ٧ تفسير الطبري جـ٦ ص١٢٠، فالداء قديم والشر أصيل. ٨ فتح القدير. الشوكاني جـ٢ ص٣٠

٨. إن همّ هؤلاء اليهود بالفتك بك يامحمد، فقد قتلوا قبلك الأنبياء، وقتل ابن آدم أخاه، والشر قديم. ٩. تفسير القرطبي ١٣٣

٩. إزالة لاستغراب الرسول (ص) عدم إيمان اليهود، وإعراضهم عن الإسلام على وضوح برهانه، وكثرة آياته، وذلك فعل سلفهم من قبل ١٠ تفسير المنار ص٣٤٠، فلا تعجب من

حالهم بعد هذا، فإن لهم أشباهاً ونظائر في البشر كابني آدم، وقد حدث بينهم سفك الدماء فقتل الأخ أخاه، وبذر تلك البذور السيئة إلى قيام الساعة. ١١ تفسير المراغي ص٩٦

١٠. بيان حكمة الله في شرع القتال والقود، على ما شدد منه من تحريم قتل النفس، وهنا يبين الله أن اعتداء بعض البشر على بعض بالقتل داء خطير بين بعده أحكام القتال. ١٢. تفسير المنار ص٣٤٠

معاني المفردات وأوجه إعرابها في الآيات

(واتل) الأصل لمادة (ت ل و) التبع، والتلاوة بالكسر القراءة، ولم تكد تستعمل إلا في قراءة كلام الله تعالى ١٣ تفسير المراغي جـ٢ ص٩٦، وذكر لسان العرب ١٤ لسان العرب جـ١٤ ص١٠٢تلاوة القرآن وقال: إن بعضهم عم به كل كلام، ولعل قراءة القرآن سميت تلاوة لأنه مثاني كلما قرئ منه شيء يتبع بقراءة غيره أو بإعادته أو لأن شأنه أن يقرأ ليتبع بالاهتداء والعمل به فقوله (يتلونه حق تلاوته) سورة البقرة آي١٢١ـة.. ١٥ تفسير المنار ص٣٤١

والمعنى: أي اقرأ واسرد ١٦.. البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي جـ٣ ص٤٦٠

(عليهم) الضمير في عليهم ظاهره أنه يعد على بني إسرائيل، ذلك من دلائل النبوة. ١٧ وهناك قول آخر في عود الضمير وهو أنه يعود على الناس، والمعنى: واتل على الناس. ١٨ الفخر الرازي جـ١٢ ص٢٠٣وذكر صاحب المنار أنه يعود عليهما جميعاً أي اتل يامحمد على الناس وعلى أهل الكتاب. ١٩. المنار جـ٦ ص٣٤١. زاد المسير جـ٢ ص٣٣١(النبأ) النبأ الخبر٢٠. مختار الصحاح ص٦٤٢ (ابني ءادم) اختلف أهل العلم في ابني آدم المذكورين هل هما لصلبه؟ أم لا؟ فذهب الحسن البصري والضحاك إلى أنهما رجلان من بني إسرائيل ٢١، التسهيل ص١٧٤

وذهب الجمهور من العلماء ومنهم ابن عباس وابن عمر (ومجاهد وقتادة أنهما ابنا آدم لصلبه. ٢٢ زاد المسير ص٣٣١(بالحق) الباء للمصاحبة.

والمعنى: أي على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب ولا هم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان ٢٣، ابن كثير ص٤١(اذ قربا قرباناً) إذ: ظرف لما مضى، وفيه أقوال:

والقربان في الأصل مصدر قرب منه وإليه، قرباً قرباناً، فلهذا يستوي فيه المفرد وغيره ٢٤ المنار ص٣٤٢وهو اسم جنس يصلح للواحد وللعدد.

وهو اسم لما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو صدقة (قال لأقتلنك) قال: استئناف بياني، جواب سؤال ٢٥ الألوسي ص١١١نشأ من الكلام السابق ٢٦ تفسير أبو السعود ص٢٦. البيضاوي ص١٤٥كأنه قيل: فماذا قال من لم يتقبل قربانه؟فقال لأخيه لتضاعف حسده وسخطه لما ظهر فضله عند الله لأقتلنك ٢٧. أبو السعود ص٢٦وهذا وعيد وتهديد شديد.

(قال إنما يتقبل الله من المتقين) قال: استئناف كما قبله، أي قال الذي تقبل قربانه لما رأى أن حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه ٢٨ الرازي ص٢٠٦ وفي الكلام حذف والتقدير كأن هابيل قال: لم تقتلني، قال: لأن قربانك صار مقبولاً، قال هابيل: وماذنبي؟! إنما يتقبل الله من المتقين.

وقيل هذا كلام من الله تعالى لنبيه محمد (اعتراضاً بين القصة، كأنه تعالى يبين لنبيه محمد (أنه لم يقبل قربانه لأنه لم يكن متقياً ٢٩ البحر المحيط ص٤٦٢، وعلى هذا فالضمير إما أن يكون عائداً على المعتدى عليه من ابني آدم، وإما أن يكون عائداً إلى الله تعالى. البحر المحيط ص٤٦٢

إنما: للحصر، أي إنما يتقبل الله القربان من المتقين لا من غيرهم. ٣٠ الشوكاني ص٣٠

الله: ذكر لفظ الجلالة هنا، وأسند الفعل إليه لتربية المهابة. ٣١ أبو السعود ص٢٦، والمراد بالمتقين هنا أحد معنيين:

١. أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس وابن زيد فقال: الذين اتقوا الله وخافوه بأداء ما كلفهم من فرائض، واجتناب ما نهاهم عنه من معصيته. ٣٢ انظر: الألوسي ص١١٢. الثعالبي ص٤٥٧
٢. أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك. ٣٣ زاد المسير ص٣٣٤
٣. أنهم الذين يتقون الشرك الأكبر والأصغر والمعاصي ٣٤ المنار ص٣٤٣وهو الراجح من الأحاديث والعبارات التي ساقها المفسرون في هذا الموضوع، والله أعلم.

وقد استدل المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصي لا يتقبل عمله، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا، يراد بها تقوى الشرك. ٣٥ التسهيل ص١٧٤

والمعنى في الآية: إنما يتقبل الله من المتقين لا من غيرهم، وإنما تقبل قرباني

ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه، أي إنما أتيت من قبل نفسك لا من قبلي، فلم تقتلني؟

وهولم يصرح حملاً لأخيه على التقوى والإقلاع عما نواه، وبعد ذلك صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع ٣٦. أبو السعود ص٢٧ وقد أجابه جواباً مختصراً بليغاً. ٣٧ الألوسي ص١٢ (لئن بسطت الي يدك) اللام: توطئة للقسم أن: شرطية بسطت: فعل الشرط إلي يديك: قدم الجار والمجرور على المفعول الصريح لسببين:

الأول: إيذاناً من أول الأمر برجوع ضرر البسط وغائلته إليه. ٣٨ أبو السعود ص٢٧

الثاني: لتعجيل تذكيره بنفسه المنجر إلى تذكيره بالأخوة المانعة عن القتل ٣٩ الألوسي ص١١٣

والمعنى: لئن بدأتني بالقتال ٤٠ أي: لئن قصدت قتلي. ٤١ الشوكاني ص٣١

(ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) ما: مجازية مفيدة للتأكيد النقي. ٤٢ أبو السعود ص٢٧

أي: والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به، وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات. ٤٣ أبو السعود ص٢٧ والمعنى لقوله ما أنا بباسط:

١. ما أنا بمنتصر لنفسي، قاله ابن عباس ٤٤ المرجع السابق، التسهيل ص٧٤، ولم أدافعك.
٢. ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة. ٤٥ زاد المسير ص٣٣٤

وهنا سؤال: لماذا قال ما أنا بباسط إليك يدي؟

ويختلف الجواب حسب المعنى المراد من الكلمة كالآتي:

١. قالها على سبيل الوعظ. ٤٦ الرازي ص٢٠٦ فقد لاحت أمارات غلبة الظن من قابيل لقتل هابيل لكن هابيل لم يتحقق من ذلك فذكر له هذا الكلام قبل الإقدام على القتل ليزدجر عنه، وتقبيحاً لهذا الفعل. ٤٧ البحر المحيط ص٤٦٢ وقال ابن جرير: ليس في الآية أي دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله ثم ترك الدفع عن نفسه. ٤٨ الطبري ص١٣٤
٢. لا أبسطها على سبيل الاعتداء.فلا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة. ٤٩ تيسير العلي القدير ص٣٩
٣. الأمر مختلف بحسب الشرائع فعندهم جائز عدم الدفاع عن النفس، وهو قول مجاهد ٥٠. التسهيل ص٧٤ والحسن ٥١. السيوطي ص٢٧٤ أما عندنا فالأمر مختلف فقال الشافعي إلى أنه ليس للمظلوم الاستسلام إلا إذا كان ظالمه مسلماً محقون الدم، فإن كان كافراً أو مهدراً أوجب عليه الدفع عن نفسه. ٥٢. الجمل ص٤٨٢
٤. تحرياً لما هو أفضل وأكثر ثواباً وهو كونه مقتولاً لا قاتلاً، ولذا قال ابن عباس: إن بسطتها على سبيل الظلم والابتداء فلن أبسطها على سبيل الظلم والابتداء.
٥. المقصود الاستسلام كعثمان. فإنما ترك الدفع عن نفسه لأنه ظهرت له مخيلة انقضاء عمره فبنى عليها أو بإخبار أبيه كما جرى لعثمان إذ بشره الرسول (ص) بالجنة لبلوى تصيبه، ورآه في اليوم الذي قتل فيه في النوم وهو يقول: " إنك تفطر الليلة عندنا " ٥٣ مصنف ابن أبي شيبة، كِتَابُ الرُّؤْيَا، مَا ذُكِرَ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ برقم (٢٩٩١٦، فترك الدفع عن نفسه حتى قتل. ٥٤ البحر المحيط ص٤٦٢ (إني أخاف الله رب العالمين) تأكيد ببيان العلة ٥٥ المنار ص٣٤٣ وتعليل للامتناع عن بسط اليد

وفيه:

١. إرشاد إلى خشية الله على أتم وجه.
٢. تعريض بأن القاتل لا يخاف الله تعالى. ٥٦ الألوسي ص١١٣

والمعنى: إني أخاف الله في بسط يدي إليك أن أبسطها لقتلك أن يعاقبني على ذلك ٥٧ الخازن ص٣٩، فلا يراني باسطاً يدي إلى الإجرام وسفك الدم بغير حق، فإن ذلك يسخطه ويكون سبب عقابه لأنه رب العالمين الذي يغذيهم بنعمه ويربيهم بفضله وإحسانه، فالاعتداء على أرواحهم أعظم مفسدة لهذه التربية ومعارض لها في بلوغ غاية استعدادها ومن يخاف الله لا يعتدي هذا الاعتداء. ٥٨ المنار ص٣٤٣

(إني أريد أن تبوأ) تعليل ثان ٥٩ أبوالسعود ص٢٧. الجمل ص٤٨٢ لامتناعه عن البسط والمعارضة والمقاومة والمقاتلة

أريد: الإرادة هنا إما أن تكون على معناها الحقيقي فتكون بمعنى المحبة، وإيثار الشهوة.

أن تبوء: أصل البوء اللزوم ٦٠ الألوسي ص١١٣ وفي النهاية أبوء بنعمتك علي، وأبوء بذنبي أي ألتزم وأرجع وأقر ٦١ النهايةص والمعنى: ما يلزمه ويترتب عليه من العقوبة، وأصل باء رجع إلى المباءة، وهي ٦٢ القرطبي ص١٣٨المنزل، والمعنى

تتحمل ٦٣، تفسير القرآن العظيم ص٤٥. وتبوء بمعنى تتصرف ٦٤ نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني ص٩٢.

(بأثمي وأثمك) الإثم الذنب ٦٥، التسهيل ص١٧٤ وإضافة الإثم على جميع الأقوال إلى ضمير المتكلم.

بقي سؤال أخير: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟والإجابة بأمور:

أولاً: إنما وقعت الإرادة، وقال هذا القول لأخيه بعد ما بسط يده إليه بالقتل ٦٦ القرطبي ص١٣٧فلما علم أنه يقتله لا محالة طلب الثواب ٦٧ الجمل ص٤٨٢ بأن يكون هو المقتول لا القاتل، ولا شك أنه يجوز للمظلوم إرادة عقوبة ظالمة ٦٨.

ثانياً: أن يكون المعني إني أريد ألا تبوء بإثمي وإثمك على تقدير حذف (لا) ٦٩ فتح القدير ص٣١نظير ذلك قوله تعالى (والقي في الارض رواسي أن تميد بكم) سورة لقمان آية١٠ وقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) سورة النساء آية ١٧٦.

ثالثاً: أنه لما بسط يده للقتل وأصر على ذلك وأصبح محققاً ورد قضية الله ٧٠ النسفي ص٢٨٠واستحل ما حرم الله صار بذلك كافراً، والكافر لا مانع من إرادة الشر به ٧١، الجمل ص٤٨٣. البيضاوي ص١٤٦ فهو بحمله عليه عد جانياً ٧٢ الألوسي ص١١٣والإنسان إذا تمنى أن يكون إثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك. ٧٣ الخازن ص٣٩

رابعاً: أنه استفهام أي أو إني أريد؟ على جهة الإنكار ٧٤ القرطبي ص١٣٧وهو استفهام إنكاري ٧٥ الجمل ص٤٨٢كقوله تعالى: (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) سورة الشعراء آية٢٢، أي أو تلك نعمة؟ وهذا لأن إرادة القتل معصية، ويؤيد هذا الرأي قراءة من قرأ (أَنَّى أُريد) بفتح النون وهي أنى التي بمعنى كيف أي: كف أريد ذلك. ٧٦ فتح القدير ص٣١

خامساً: أن المعنى أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك فحذف ذلك، وقامت أن مقامه ٧٧ كقوله (وأشربوا في قلوبهم العجل) سورة البقرة آية٩٣.

سادساً: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد أن قتلتني أردت أن تبوء بالإثم. ٧٨

سابعاً: المعنى إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب، ولما لم يكن بد من إرادة أحد الأمرين إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم، وكان غير مريد للأول فاضطر للثاني فلم يرد إذا إثم أخيه لعينه، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة ولم تكن مشروعة فلزم إرادة إثم أخيه، وهذا كما يتمنى الإنسان الشهادة فيتمنى أن يبوء الكافر بالإثم، وقصده أن يبذل نفسه في سبيل الله وجاء إثم الكافر ضمناً وتبعاً. ٧٩ حاشية الكشاف ص٦٠٧ (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) أحمد المالكي

(فتكون من أصحاب النار) المصاحبة: للملازمة والمعنى:

١. أن تكون من أصحاب النار مدة كونك فيها. ٨٠ القرطبي ص١٣٨

٢. يعني الملازمين لها. ٨١

ومعنى ذلك أنه كافر يؤيد ذلك أن لفظ أصحاب النار لم يطلق إلا على الكفار ٨٢ ولكن هذا القول ضعيف مردود.

(وذلك جزؤا الظالمين) وذلك إشارة على مصاحبة النار. ٨٣ الخازن ص٤٠ومعناه أن جهنم جزاء من قتل أخاه ظلماً ٨٤ الخازن ص٤٠ وقد سلك في صرفه عما نواه كل مسلك من العظة والتذكير والترغيب والترهيب فما أورثه ذلك إلا الإصرار على الغي والانهماك في الفساد. ٨٥ أبو السعود ص٢٨

وجاءت هذه الجملة لتبين عقاب من عصى الله. ٨٦ صفوة التفاسير ص٣٣٩

(فطوعت له نفسه قتل أخيه) طوَّعت فعَّلت من الطوع والعرب تقول طاع له كذا أي أتاه طوعاً من طاع له المرتع ٨٧زاد المسيرص ٣٣٧ إذا اتسع والطوع هو الانقياد.

له: للتأكيد والتبيين والمعنى: أن قابيل كان يهاب قتل أخيه وتجبن فطرته دون ذلك ٨٨. المنار ص٣٤٦ وقد ذكر تطويع نفسه له بعد ما تقدم من قول قابيل لأقتلنك دليل على أن التطويع لم يكن قد حصل له عند تلك المقالة.

فترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هابيل مع تحققه قبلها لأن بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية، وإن كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة أمر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ أو لأن المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل

كما أنه كان أقوى منه، وإنما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح بأخوته قتل أخيه لكمال تقبيح ما سولته نفسه ٨٩ ابو السعود ص١٥ فاعتقاد الإنسان بعظم جريمة القتل يصير صارفاً له عن هذه الجريمة فإذا أوردت النفس أنواع وساوسها ترجع عنده فقتله على الترك. ٩٠ انظر الرازي ص ١٢٠

(فقتله) إذا أماته بضرب أو حجر أو سم أو علة ٩١ لسان العرب ١١١ويطلق لفظ القتل على الإنسان. ٩٢فقه اللغه ص٧٨(فأصبح من الخاسرين) أصبح تدل على استغراق جميع الوقت كقول العرب (أصبحت لا أحمل السلاح) ٩٣ الثعالبة ص٤٥٧وهي بمعنى صار، وقال ابن عطية: أقيم بعض الزمان مقام كله وخص الصباح بذلك لأنه بدء النهار والانبعاث إلى الأمور ومظنة النشاط. ولم يقل تعالى فأصبح خاسراً: للمبالغة وإن لم يكن حينئذ خاسراً سواه ٩٤ الألوسي ص١١٥وخسرانه سيكون من وجوه:

١. في الدنيا بإسخاط والديه وبقائه بغير أخ ٩٥ المراغي ص١٠٠ وعلى ذلك قال البعض أنه عاص لا كافر. ٩٦القرطبي ص١٤١
٢. في الآخرة بإسخاط ربه ومصيره إلى النار. ٩٧زاد المسير ص٣٣٨
٣. خسران الحسنات. ٩٨ القرطبي ١٤٢
٤. خسر نفسه بإهلاكه إياها. ٩٩البحر المحيط ص٤٦٥
٥. خسر الجنة فلم يعد أهلاً لنعيمها. ١٠٠ المراغي ص١٠٠
٦. خسر باسوداد وجهه وكفره باستحلاله ما حرم الله. ١٠١البحر المحيط ٤٦٥

(فيبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه)

بعث: أرسل ١٠٢ صفوة التفاسير ص٣٣٩، وهنا جملة محذوفة فجهل مواراته فبعث ذكرها أبو حيان.

غراباً: الغراب طائر معروف ١٠٣الالوسي ١١٦ ومن عادته دفن الأشياء ١٠٤المنار ص٣٤٦، ودفن طعمه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه ١٠٥ القرطبي ١٤١، والحكمة في كون المبعوث غراباً دون غيره من الحيوان كونه يتشاءم به في الفراق والاغتراب وذلك مناسب لهذه القصة. ١٠٦ الألوسي ص١١٦يبحث: يفتش التراب بمنقاره ويثيره ١٠٧القرطبي ١٤٣، وعبر بصيغة المضارع ولم يعبر بالماضي ليفيد استمرارية البحث وطول مدته حتى حدثت حفرة في الأرض، فلما رأى القاتل الحفرة وهو متحير في أمر جثة أخيه زالت الحيرة واهتدى إلى ما يطلب وهو دفن أخيه، وكان هذا أول قتل وقع من بني آدم،

قال تعالى (يبحث في الأرض) ولم يقل يجثو التراب. والله أعلم.ليريه: اللام للتعليل،

يواري سوءة أخيه: السوءة، وردت فيها تفاسير عدة.

والندم: لفظ وضع للزوم، ومنه سمي النديم نديماً لأنه يلازم المجلس. ١٠٨ الرازي٢١٠

١. صار نادماً على عدم الاهتداء إلى دفن أخيه، لا على قتله، ولو كانت ندامة على قتله لكانت توبة له. ١٠٩ صفوة التفاسير ص٣٣٩
٢. أنه ندم على قتله للآثار التي ظهرت بعد القتل من التعب والحيرة والعجز وسخط الأب والأم، وظهور جهله أمام الغراب. ١١٠الكشاف ص٦٠٨
٣. ندم على عدم الانتفاع بعد قتله لما حاق به من غضب وخسران. ١١١الخازن ص٤٠
٤. ندم على القتل ولكن قد فات الأوان، وندم لا لأجل الخوف من الله فلم ينفعه. ١١٢الثعالبي ص٤٥٧
٥. أنه ندم على فقده لا على قتله.
٦. أنه ندم ولم يستمر ندمه. ١١٣القرطبي ص١٤٦
٧. أنه ندم على قساوة قلبه لما رأى من فعل الغراب. ١١٤الرازي ص٢١٠
٨. ندم خوف الفضيحة. ١١٥البحر المحيط ص٤٦٧
٩. يجوز أنه ندم ولكن الندم الذي يعتبر توبة خاص بهذه الأمة، وليس لمن سبقها من الأمم. ١١٦ زاد المسيرص٣٣٩

وقد عوقب بهذا العقاب النفسي وهو الندم وكفى به عقاباً لو لم يكن غيره، وقد ورد في الحديث أن النبي (قال: " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم " ١١٧ أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي برقم (٤٢٥٦) وأخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع برقم (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البغي برقم (٤٢٠١) وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أسرار البلاغة في الآيات

والله إني لأحس بصغر حجمي، وعجزي عن التفكير، وعن الوفاء بقدر

هذه الكلمات وإعطائها حقها، ولكني كطالبة علم أبحث في الكتب، وأجمع ما قاله العلماء، وأضع ملاحظاتي راجية من الله المغفرة على جرأتي، فالآيات تحار فيها العقول، وتعجز الأقلام عن حصر بلاغتها وما أكتب إلا لمحات ونظرات، فهو على سبيل المثال لا الحصر.

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ)

والحق هنا يلزمنا بالمصادر الصحيحة للقصة والإعراض عن غيرها ضمناً.

(إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ)

قربا قرباناً: جاء بلفظ المصدر الذي يستوي فيه المفرد وغيره اختصاراً ليفيد أن كلاً ١١٨ البيضاوي ص١٤٥منهما قرب قرباناً.فتُقُبِّلَ: والفعل مبني للمجهول ليشير بناؤه هكذا إلى أن القبول وعدمه موكول إلى قوة غيبية وكيفية غيبية ، وهذه الصياغة تفيدنا أمرين:

١. ألا نبحث عن كيفية التقبل.

٢. الإيحاء بأن الذي قبل قربانه لا جريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله ١١٩. ظلال القرآن ص٨٧٥ بل العكس توجب احترامه وتقديره.

قال لأقتلنك: استئناف سؤال نشأ من الكلام السابق، كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل ١٢٠ قال لأخيه لأقتلنك. وهو خبر مؤكد بالقسم ١٢١ البحر المحيط ص ٤٦١ له إشاراته ومنها:

١. تشير إلى تمكن الشر من نفسه.

٢. تشير إلى تكبره وعناده وعدم استجابته للحق.

٣. تترجم الحقد الأسود الدفين.

٤. تعني زوال معاني الأخوة والمحبة من قلبه لأخيه. ١٢٢ مع قصص السابقين في القرآن. صلاح عبدالفتاح الخالدي ص٩٩(قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

استئناف وفي الكلام حذف، والتقدير كأن هابيل قال لِمَ تقتلني قال: لأن قربانك صار مقبولاً، فقال هابيل: وما ذنبي؟ إنما يتقبل الله من المتقين. وفي الآية حصر للصفة التي هي شرط قبول الأعمال، وهي التقوى بلفظ (إنما).

وذكر لفظ – الله – لتربية المهابة في نفس أخيه. وقيل مراده الكناية عن أنه لا يمتنع عن حكم الله بوعيده لأنه متق. أو الكناية عن أنه لا يقتله دفعاً لقتله لأنه متق فيكون كالتوطئة لما بعده ١٢٣ الالوسي ص ١١٢ ولم يصرح حملاً لأخيه على التقوى ١٢٤ ابو السعود ص٢٧ فأجابه جواباً مختصراً بليغاً ١٢٥ الجمل ص٤٨٢.

(لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ)

المقابلة هنا فيها غاية، وذلك من وجوه:

١. الباء الواقعة في جواب الشرط لتأكيد النفي والمبالغة في أنه ليس من شأنه ذلك، فبالغ في إظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط. ١٢٦الرازي ص٢٠٦

٢. تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لبيان:

أ. رجوع ضرر البسط وغائلته إليه.

ب. لتعجيل تذكيره بالأخوة المانعة عن القتل. ١٢٧ الالوسي ص١١٢

٣. تأكيد الجملة بالقسم والنفي والجملة الاسمية المقرون خبرها بالباء كل ذلك يفيد امتناع صدور القتل منه. ١٢٨ انظر المنارص٣٤٣

٤. عبر عن نفسه بصيغة الفعل المضارع المنفي كما عبر بالماضي المثبت عن عمل أخيه، ولا شك أن نفي الصفة أبلغ من نفي الفعل. ١٢٩المرجع السابق

٥. الجملة الاسمية تدل على دوام الثبوت والسلبية تدل على دوام الانتفاء وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله، أي: والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات. ١٣٠انظرابو السعودص٢٧

(إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)

تأكيد ببيان العلة وتعليل للامتناع عن البسط ١٣١المنار ص ويتضمن أبلغ موعظة.

(إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ)

حسن مقابلة بين التكلم والخطاب لأن كلا الإثمين إثم المخاطب ١٣٢ الألوسي ص١١٤ وفيه تواضع وهضم لنفسه بإضافة الإثم إليها وتذكير للمخاطب بأنه ليس له حسنات توازي هذا الظلم الذي عزم عليه. ١٣٣ المنار ص٣٤٤

(فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ)

سلك في موعظته وجوهاً تأخذ بمجامع اللب، منها:

١. أنه نزه نفسه من جزائه على جنايتها.

٢. ذكره بخوف الله تعالى.

٣. بين أن المعتدي يبوء بالإثمين.

٤. ذكره بعذاب النار أنها مثوى الظالمين

١٣٤المراغي ص١٠٠ ففي الآية بيان لكمال العقوبة وتمامها. ١٣٥ الثعالبي ص٤٥٧ (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

هذه استعارة، والمراد سولت له وقربت عليه ففعل وأتاه طوعاً وانقاد إليه سمحاً ١٣٦ تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ص٥٥ وخير كلام في بلاغة هذه الكلمات ما قاله صاحب المنار حيث قال: ولم أر أحداً شرح بلاغة هذه الكلمة في هذا الموضع ببعض ما أجد لها من التأثير في نفسي وإنها لبمكان من البلاغة يحيط بالقلب ويضغط عليه من كل جانب.

إنني أكتب الآن وقلبي يشغلني عن الكتابة بما أجد لها فيه من الأثر والانفعال، إن هذه الكلمة تدل على تدريج وتكرار في حمل الفطرة على طاعة الحسد الداعي إلى القتل كتذليل الفرس والبعير الصعب فهي تمثل لمن يفهمها ولد آدم الذي زين له حسده لأخيه قتله وهو بين إقدام وإحجام يفكر في كل كلمة من كلمات أخيه الحكيمة فيجد في كل منها صارفاً له عن الجريمة يدعم ويؤيد ما في الفطرة من صوارف العقل والقرابة والهيبة، فبكر الحسد من نفسه الأمارة على كل صارف في نفسه اللوامة فلا يزالان يتنازعان ويتجاذبان حتى يغلب الحسد كلا منها ويجذبه إلى الطاعة، فإطاعة صوارف الفطرة وصوارف الموعظة لداعي الحسد هو التطويع الذي عناه الله تعالى فلما تم كل ذلك قتله وهذا المعنى يدل عليه اللفظ ويؤيده ما يعرف من حال البشر في كل عصر وقد يكون التكرار لأجل إطاعة مانع أو صارف واحد وقد يكون لإطاعة عدة صوارف وموانع. ١٣٧ المنار ص٣٤٥

(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)

يبحث: جاء التعبير في البحث بصيغة المضارع ليفيد استمرارية ومكث الغراب فترة وهو يبحث في الأرض حتى حفر حفرة فلما رأى القاتل الحفرة اهتدى إلى ما يطلب. ١٣٨المراغي ص١٠٠

يا ويلتى: بيان لفظاعة الحالة التي كان فيها القاتل فنادى بالبعيد للقريب، ونزل بعد المكانة منزلة بعد المسافة ليفيد سوء حاله. ١٣٩الالوسي١١٦

أما الجمل التذييلية في الآيات فمجيئها بهذه المعاني الرائعة فيه منتهى البلاغة، فلو استعرضنا هذه الجمل لوجدناها كالتالي:

١. الآية الأولى بداية القصة، وفيها القربان وقبوله ونهايتها(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)
٢. الآية الثانية وفيها رد هابيل على قابيل بعدم الاعتداء والتعريض به وتخويفه بعذاب الله ونهايتها (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)
٣. الآية الثالثة وفيها بيان الإثم والعقوبة المترتبة على هذا الجرم الشنيع ونهايتها (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)
٤. الآية الرابعة وفيها مشهد الجريمة وبيان الأثر ونهايتها (فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)
٥. الآية الخامسة وفيها إزالة معالم الجريمة وبيان صغر شأن الإنسان، وتعلمه من الحيوان ونهايتها(فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)

وهنا نلاحظ أن التوافق في القرآن الكريم لا ينحصر بين السور وهي تتوالى عقب بعضها بعضاً ولا بين الآيات تلو الآيات ولكن التوافق كذلك متحقق بين الشطر الأكبر من الآية وما يليه من ختام وهو ختام يرد على هيئة تعقيب مناسب يتلاءم تمام التلاؤم مع المعاني المحتواه في الآية نفسها أو فيما سبق من آيات تتناول قضية أو جملة من القضايا ولدى التدبر الواعي نجد أن التعقيب الذي تختتم به الآية لا ينفصم أدنى انفصام عن بقية الكلام الذي تتألف منه الآية في الصورة البيانية المعروضة ولا في الحقائق المعنوية المحتواه والتي تتضمنها الكلمات لا نجد شيئاً من انفصام أو تنافر ولا شيئاً من تفاوت أو تشتيت للمعنى حتى ولا شيئاً من ذلك فيما بين الشطر الأكبر من الكلام الذي يحتل المساحة الكبيرة للآية وما يليه من ختام وتعقيب فالقرآن يجلله التوافق الأكمل والانسجام المترابط الوثيق حتى بين الآية وما يختمها من تعقيب مناسب. ١٤٠ دراسات في علوم القرآن. د. أمير عبد العزيز ص٢٧١

وقد لاحظنا ذلك عند استعراض هذه الآيات الرائعة ومما يدل على هذا القول " سمع أعرابي قارئاً يقرأ (فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ) سورة المائدة آي ٣٨ ـة ثم ختمها فقال (والله غفور رحيم) فقال له: ما هذا؟ فقيل له: قرآن، فقال: ما هذا بقرآن فتنبه القارئ فقال(وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)فقال الأعرابي: " عز فحكم فقطع " ١٤١ مع القرآن الكريم لأحمد محمد طاحون أحمد صلاح جمجوم ص٨٤ فسبحان الله العظيم المعجز في قوله المعجز في نظمه.

الفوائد التي نستطيع استخراجها

إن النص القرآني ليس نصاً دينياً فقط إنما هو إلى ذلك نص أدبي معجز ١٤٢ دراسات في القرآن. للسيد أحمد خليل ص١٠٦وما أورده هنا من الفوائد إنما هو فيض من غيض والله المستعان:

١. خطاب الرسول (وأمره بالتلاوة فيه تنبيه على أهمية القصص واستعمالها في التربية.
٢. تسمية هذه القصة نبأ وهو الخبر ذو الشأن دلالة على الاهتمام بها.
٣. ابني آدم وجدا في عصره وهما موجودان في كل زمان فقصتهما قصة الأجيال لذلك لابد من التأمل فيها لإدراك معانيها فالخير والشر أبداً قائمان.
٤. ابني آدم إشارة من الله تعالى بصلة هذين الإنسانين الخيّر والشرير بآدم (وهذا يدل على أنه بالرغم من كون القاتل ابناً لآدم (إلا أنه لم ينتفع بهذه القرابة ولم ينقص هذا من مكانة آدم (فكل نفس بما كسبت رهينة سورة المدثر آية ٣٨
٥. (بالحق) الالتزام بمنهج الله وعدم البحث في شأن هذه القصة عن الإسرائيليات.
٦. الاتجاه بالتفكير إلى ما يفيد الإنسان وأن التفصيلات الكثيرة غالبها تضييع للوقت والجهد والفكر بلا طائل.
٧. (إذ قربا قرباناً) وإن كان قربانهما مجهول لنا ولكن قربان أمة محمد (هو الفرائض والنوافل فقد قال (فيما يرويه عن ربه عز وجل: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "
٨. (فتقبل من أحدهما) فيه دلالة على عدم التقبل من الآخر ومع ذلك يعقب بعدها بالتوضيح تأكيداً على عدم القبول وفيه بلاغة القرآن بألفاظه الرائعة.
٩. اللجوء إلى الله للحكم.
١٠. وجوب الرضا بقضاء الله وقدره.
١١. عند تميز أحد علينا لا بد من مراجعة أنفسنا لإصلاح العيوب.
١٢. الحسد من أفتك الأمراض بالإنسان فلا بد من المسارعة في معالجته.
١٣. ادفع بالتي هي أحسن فصلت آية ٣٤، قانون سماوي ومبدأ أخلاقي منذ النشأة الأولى
١٤. الإعذار إلى الله بدفع الأذى بالكلمة الطيبة لكي لا يكون للظالم حجة عند الله.
١٥. النصح بإخلاص ورفق على رجاء الإصلاح.
١٦. التدرج من الترغيب إلى الترهيب في الدعوة.
١٧. إن التقوى سبب لقبول العمل.
١٨. عدم الاعتداء وسفك الدم والقتل بغير الحق.
١٩. وجوب الدفاع عن النفس.
٢٠. الخوف من الله سبب للنجاة من الذنوب.
٢١. إن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.
٢٢. إن القاتل تتصارع في نفسه معاني الحق والشر ومعنى ذلك وجود الخير فيه فليس في الإسلام منبوذ لا يرجى الخير منه بل فيه تأليف وتقريب وفتح لباب التوبة وهذا سبيل الشريعة في التهذيب ١٤٣ انظر: جولة في ذات المسلم. خليفة التونسي ص١٠١
٢٣. إن الإنسان يكتسب معارفه من البيئة حوله.
٢٤. إهانة الله للمجرمين حيث لم يلهمه الله طريقة الدفن، وإنما جعل علمه على يد غراب.
٢٥. نزول رحمة الله تعالى بالمؤمن حيث أرسل الغراب ليعلمه كيف يدفن جسد المؤمن الطاهر إكراماً له. ١٤٤ قصص القرآن. محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته وعلي محمد البجاوي ص١٣
٢٦. إن المجرم عند ارتكاب الجريمة يخسر كل شيء.
٢٧. إن الإنسان الذي يطغى بقوته العقلية والجسمية قد يعجز عن حل أسهل المشكلات.
٢٨. من أهم العقوبات على الجريمة العقوبة النفسية بالندم على اقترافها.
٢٩. إن الندم إذا لم يقترن ببقية شروط التوبة فليس منه فائدة.
٣٠. مراعاة الله تعالى لمقتضى الأحوال

وإنزاله الآيات المناسبة في الأوقات المناسبة والتعليل للآيات يفتح لنا آفاقاً جديدة لاستخدام القصة المناسبة في الوقت المناسب للتربية.

الخاتمة

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

فآيات القرآن فيما تقدمه لنا من دلالات ودروس وعظات وعبر وإشارات ولطائف وإيماءات كنز لا ينفذ وبحر لا يجف ومعين لا ينضب وعطاء دائم متجدد حتى قيام الساعة، وأنا في ختام هذا البحث الصغير انتهيت من ذكر قصة ابني آدم التي ورد ذكرها في سورة المائدة بعد الوقوف على معانيها والدروس المستفادة منها راجية من الله عز وجل أن أكون قد وفقت في عملي ولا أدعي الصواب في كل ما قلته فإن العصمة لا تكون إلا للأنبياء والكمال لا يكون إلا لله تعالى وحسبي أني قضيت وقتاً ممتعاً بين آيات الله أتقلب فيها صبحاً ومساءاً وأقلب الطرف بين كتب التفسير والفقه واللغة وغيرها حريصة على الصواب ما أمكن فإن أخطأت فإنه خطأ غير متعمد ولا مقصود وإنما هو من لوازم ضعفي البشري الملازم لكل البشر.

وقد توصلت في هذا البحث بحمد الله إلى معان هامة وإلى إجابات على أسئلة كانت تخطر على بالي:

١. لمَ لمْ يجر ذكر إبليس في هذه القصة مع أنه في غالب آيات القرآن كلما ذكر آدم ذكر إبليس؟ ومعلوم لدينا أن إبليس بالمرصاد لكل تحركاتنا ورغبة القتل التي راودت ابن آدم لا يمكن أن تكون أتت فقط من النفس الأمارة وحدها خصوصاً إذا علمنا أن هناك صراعاً نفسياً رهيباً مر به الرجل. إذن بل أعتقد أن إبليس لم يذكر لغرض وغاية وهي اعتراف الإنسان بخطئه وإحساسه بمسؤولية الذنب دون إلقاء التبعة على غيره، وقد قال آدم (ربي إني ظلمت نفسي) الأعراف آية ٢٣ فهذا الموقف جعله قادراً على تصحيح خطئه والوصول إلى مغفرة ربه أما إلقاء التبعية على الغير فإنه يعمي الأبصار ويجعل الإنسان عاجزاً عن كشف الخلل غافلاً عن الحقائق. ١٤٥ انظر: من هدي سورة البقرة. حنان لحام ص١١٥

٢. أما بالنسبة لسؤالي الثاني عن السنة فإنها لم تضف أي تفصيلات بالنسبة لهذه القصة وكل ما فيها تأكيد فقط على ابني آدم هما ابناه لصلبه.

٣. والهدف من وجود هذه القصة في سورة المائدة التي يحتل الحديث عن اليهود معظمها أن العداء بيننا وبينهم قديم والشر أصيل في نفوسهم ورغبتهم في قتل الإيمان والمؤمنين عظيمة وستبقى إلى قيام الساعة (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) سورة البقرة آية ١٢٠، فكأنما الله تعالى ينبه الأمة الإسلامية للخطر الداهم المتربص من اليهود " لأقتلنك " قالها قابيل جزاء لهابيل على تقواه وهكذا الشر أبد الدهر ينتظر الفرصة لينقض على نوازع الإيمان فيقضي عليها.

٤. ويبين الله تعالى في هذه الآيات العظيمة شناعة هذه الجريمة التي استسهلها كثير من البشر فآلاف من المسلمين يقتلون يذبحون بدون تحرك من وازع ضمير لو تأمل هؤلاء البشر هذه الآيات ونظروا في الآثار التي تترتب على ما تقترفه أيديهم لكان لهم شأن آخر.

لذلك أرجو من الله أن يلهم هذه الأمة رشدها وأوصى طلبة العلم بالرجوع إلى كتاب الله – تأمل معانيه – استنباط فوائده فقد يقفون على ما لم يقف عليه الأوائل السابقين، وأسأل الله أن يديم نعمة الحياة في ظلال القرآن، وأن يفيض علينا من بركاته ومعانيه، وأن يفتح علينا من فتوحاته، وأن يجعل هذا القرآن الحبيب ربيع قلوبنا ونور صدورنا وذهاب همومنا وجلاء أحزاننا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يذكرنا منه ما نسينا، وأن يجعله حجة لنا يوم القيامة، وأن يرزقنا القبول، وخير ما اختتم به حديثي قول عبد الله بن عمر (عندما أعطى السائل ديناراً، فقال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة واحدة لم يكن غائب أحب إليّ من الموت تدري ممن يتقبل الله؟ من المتقين..

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

الهوامش:

١. مختار الصحاح ص١٠
٢. لسان العرب جـ١٢ ص١٢
٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٢٤
٤. المرجع السابق
٥. تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي جـ٣ ص٤٦
٦. تفسير القرطبي جـ ٦ ص١٣٣
٧. تفسير الطبري جـ٦ ص١٢٠
٨. فتح القدير. الشوكاني جـ٢ ص٣٠
٩. تفسير القرطبي ١٣٣
١٠. تفسير المنار ص٣٤٠
١١. تفسير المراغي ص٩٦
١٢. تفسير المنار ص٣٤٠
١٣. تفسير المراغي جـ٢ ص٩٦
١٤. لسان العرب جـ١٤ ص١٠٢
١٥. تفسير المنار ص٣٤١
١٦. البحر المحيط جـ٣ ص٤٦٠
١٧. البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي جـ٣ ص٤٦٠
١٨. الفخر الرازي جـ١٢ ص٢٠٣
١٩. المنار جـ٦ ص٣٤١
٢٠. مختار الصحاح ص٦٤٢. زاد المسير جـ٢ ص٣٣١
٢١. التسهيل ص١٧٤. البيضاوي ص١٤٥
٢٢. زاد المسير ص٣٣١
٢٣. ابن كثير ص٤١
٢٤. المنار ص٣٤٢
٢٥. الشوكاني ص٣٠
٢٦. الألوسي ص١١١
٢٧. تفسير أبو السعود ص٢٦. البيضاوي ص١٤٥
٢٨. أبو السعود ص٢٦
٢٩. الرازي ص٢٠٦
٣٠. الشوكاني ص٣٠
٣١. أبو السعود ص٢٧
٣٢. انظر: الألوسي ص١١٢. الثعالبي ص٤٥٧
٣٣. زاد المسير ص٣٣٤
٣٤. المنار ص٣٤٣

٣٥. التسهيل ص١٧٤

٣٦. أبو السعود ص٢٧

٣٧. الألوسي ص١٢. الجمل ص٤٨٢

٣٨. أبو السعود ص٢٧

٣٩. الألوسي ص١١٣

٤٠. التسهيل ص٧٤

٤١. الشوكاني ص٣١

٤٢. أبو السعود ص٢٧

٤٣. أبو السعود ص٢٧

٤٤. المرجع السابق، التسهيل ص٧٤

٤٥. زاد المسير ص٣٣٤

٤٦. الرازي ص٢٠٦

٤٧. البحر المحيط ص٤٦٢

٤٨. الطبري ص١٣٤

٤٩. تيسير العلي القدير ص٣٩

٥٠. التسهيل ص٧٤

٥١. السيوطي ص٢٧٤

٥٢. الجمل ص٤٨٢

٥٣. مصنف ابن أبي شيبة، كِتَابُ الرُّؤْيَا، مَا ذُكِرَ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٢٩٩١٦)

٥٤. البحر المحيط ص٤٦٢

٥٥. المنار ص٣٤٣. أبو السعود ص٢٧

٥٦. الألوسي ص١١٣

٥٧. الخازن ص٣٩

٥٨. المنار ص٣٤٣

٥٩. أبوالسعود ص٢٧. الجمل ص٤٨٢. بيضاوي ص١٤٦. الألوسي ص١١٣. فتح القدير ص٣١

٦٠. الألوسي ص١١٣

٦١. النهاية ص.....

٦٢. القرطبي ص١٣٨

٦٣. تفسير القرآن العظيم ص٤٥. الثعالبي ص٤٥٧. التسهيل ص١٧٤. النسفي ٢٨٠

٦٤. نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني ص٩٢

٦٥. التسهيل ص١٧٤

٦٦. القرطبي ص١٣٧

٦٧. الجمل ص٤٨٢

٦٨. الرازي ص٢٠٧

٦٩. فتح القدير ص٣١

٧٠. النسفي ص٢٨٠

٧١. الجمل ص٤٨٣. البيضاوي ص١٤٦

٧٢. الألوسي ص١١٣

٧٣. الخازن ص٣٩

٧٤. القرطبي ص١٣٧

٧٥. الجمل ص٤٨٢

٧٦. فتح القدير ص٣١

٧٧. زاد المسير ص٣٣٧

٧٨. المرجع السابق ص٣٣٦

٧٩. حاشية الكشاف ص٦٠٧ (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) أحمد المالكي

٨٠. القرطبي ص١٣٨

٨١. الخازن ص٤٠

٨٢. القرطبي ص١٣٨

٨٣. زاد المسير ص٣٣٦

٨٤. الخازن ص٤٠

٨٥. أبو السعود ص٢٨

٨٦. صفوة التفاسير ص٣٣٩

٨٧. زاد المسير ص٣٣٧

٨٨. المنار ص٣٤٦. المراغي ص١٠٠

٨٩. أبو السعود ص٢٨

٩٠. انظر: الرازي ص٢٠٨. المراغي ص١٠٠

٩١. لسان العرب جـ١١ ص٥٤٧

٩٢. فقه اللغة ص٨٩

٩٣. الثعالبي ص٤٥٧

٩٤. الألوسي ص١١٥

٩٥. المراغي ص١٠٠. الخازن ص٤٠. زاد المسير ص٣٣٨. الرازي ص٢٠٨

٩٦. القرطبي ص١٤١. البحر المحيط ص٤٦٥

٩٧. زاد المسير ص٣٣٨

٩٨. المرجع السابق. القرطبي ص١٤١.

٩٩. البحر المحيط ص٤٦٥

١٠٠. المراغي ص١٠٠

١٠١. البحر المحيط ص٤٦٥

١٠٢. صفوة التفاسير ص٣٣٩

١٠٣. الألوسي ص١١٦

١٠٤. المنار ص٣٤٦

١٠٥. القرطبي ص١٤١

١٠٦. الألوسي ص١١٦

١٠٧. القرطبي ١٤٣

١٠٨. الرازي ص٢١٠

١٠٩. صفوة التفاسير ص٣٣٩

١١٠. الكشاف ص٦٠٨

١١١. الخازن ص٤٠

١١٢. الثعالبي ص٤٥٧

١١٣. القرطبي ص١٤٦. أحكام القرآن لابن العربي ص٥٩٠

١١٤. الرازي ص٢١٠

١١٥. البحر المحيط ص٤٦٧

١١٦. زاد المسير ص٣٣٩. البحر المحيط ص٤٦٧

١١٧. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي برقم (٤٢٥٦) وأخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع برقم (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البغي برقم (٤٢٠١)

١١٨. البيضاوي ص١٤٥. المنار ص٣٤٢

١١٩. ظلال القرآن ص٨٧٥

١٢٠. الألوسي ص١١١

١٢١. البحر المحيط ص٤٦١

١٢٢. مع قصص السابقين في القرآن. صلاح عبدالفتاح الخالدي ص٩٩

١٢٣. الألوسي ص١١٢

١٢٤. أبو السعود ص٢٧

١٢٥. الألوسي ص١١٢. الجمل ص٤٨٢

١٢٦. الرازي ص٢٠٦

١٢٧. الألوسي ص١١٢

١٢٨. انظر: المنار ص٣٤٣

١٢٩. المرجع السابق

١٣٠. انظر: أبو السعود ص٢٧

١٣١. انظر: المنار ص٣٤٣. أبو السعود ص٢٧

١٣٢. الألوسي ص١١٤

١٣٣. المنار ص٣٤٤

١٣٤. انظر المرجع السابق ص٣٤٥. المراغي ص١٠٠

١٣٥. البحر المحيط ص٤٦٤. الثعالبي ص٤٥٧

١٣٦. تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ص٥٥

١٣٧. المنار ص٣٤٥ باختصار

١٣٨. المراغي ص١٠٠

١٣٩. الألوسي ١١٦

١٤٠. دراسات في علوم القرآن. د. أمير عبد العزيز ص٢٧١

١٤١. مع القرآن الكريم لأحمد محمد طاحون أحمد صلاح جمجوم ص٨٤

١٤٢. دراسات في القرآن. للسيد أحمد خليل ص١٠٦

١٤٣. انظر: جولة في ذات المسلم. خليفة التونسي ص١٠١

١٤٤. قصص القرآن. محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته وعلي محمد البجاوي ص١٣

١٤٥. انظر: من هدي سورة البقرة. حنان لحام ص١١٥